

أبعاد الشخصية الإنسانية

أهمية الموضوع :

تنبثق أهمية الحديث عن الشخصية وأبعادها، من أمرين مهمين جدا، هما على النحو التالي :

الإول: إن الإنسان اجتماعي بطبعه، يهوى الحياة الاجتماعية، ويأنس بمعاشرة الآخرين، والاختلاط بهم، والتعامل معهم.

الثاني : الإنسان مستخدم بطبعه، بمعنى أنه يعجز عن تلبية كل احتياجاته بنفسه، مما يجعله مفتقرا ومحتاجا إلى الآخرين في كل شؤون حياته، مما يعني أن الإنسان مسخر لخدمة الإنسان.

وفطرية الإنسان على الحياة الاجتماعية، وكذا حاجته لبني جنسه في تلبية احتياجاته، يحتمل عليه معرفة أبعاد شخصيات الآخرين، لعدة أسباب، منها :

1- إن ذلك يساعده على التنبؤ بردود أفعال الآخرين، مما يمكنه من فهم كيفية تعاملهم مع المواقف والأحداث.

2- يمكنه من التعامل الصحيح معهم حسب أبعاد شخصياتهم.

3- معرفة الأبعاد الإيجابية والسلبية لشخصيات الآخرين، تمنحنا فرصة العمل على تطوير الإيجابيات، وعلاج السلبيات في شخصياتهم، مما يساهم في بناء الشخصية الإنسانية الكاملة.

تعريف الشخصية :

هناك الكثير من التعريفات للشخصية الإنسانية، بعضها يحرص الشخصية في البدن وصفاته، وبعضها يقصرها في النفس وسماتها، وبعضها يشمل البدن والنفس معاً.

وبناء على تلك التعريفات، يمكننا أن نخلص إلى أن شخصية الإنسان، هي هويته الكاشفة عن صفاته البدنية، وسماته النفسية.

معنى البعد :

أما البعد، فهو مفهوم رياضي طبيعي، يعني الامتداد، الذي يمكن قياسه، كالطول والعرض والارتفاع، ثم توسع استخدامه ليشمل أبعاداً سيكولوجية، ومنها محاولة قياس أبعاد الشخصية الإنسانية، سواء عن طريق التجارب، أو الاستبيانات، أو المقابلات الشخصية... أو غيرها مما هو مطروح في علم النفس، ويعتمد عليه الأخصائيون النفسيون، في محاولة معرفتهم لأبعاد شخصيات الآخرين.

مفهوم السلوك :

أما السلوك الإنساني، فهو يعني النشاط الذي يمارسه الإنسان في استجابته للمواقف والأحداث، سواء كان

سلوكا حركيا، أو لفظيا، أو سيكولوجيا، أو معرفيا... أو غير ذلك من أنواع السلوك، الذي هو سلوك غائي، يكف الإنسان عن مارسته، متى تحققت الغاية التي يريد الوصول إليها من وراء قيامه بهذا السلوك أو ذلك.

وهناك رابطة وثيقة جدا، بين سمات الشخصية والسلوك الإنساني، كما أن المؤثرات في السلوك، والمحفزة له، ليست خارجية فقط، بل هي داخلية أيضا، فكل إنسان سيمارس هذا السلوك أو ذاك تجاه المواقف والأحداث، حسب طبيعته وأبعاد شخصيته، مما يؤكد لنا أهمية معرفة هذه الأبعاد، كما أشرنا إلى ذلك قبل قليل.

بين الأبعاد الخاصة والعامه للشخصية :

تنقسم طبائع الأشياء إلى قسمين :

طباع ذاتية .

طباع مكتسبة .

والطباع أو الصفات الذاتية، هي التي تكون متأصلة في ذات الشيء، فلا يمكن أن تنفك عنه بأي حال من الأحوال، فهو بذاته مطبوع على تلك الطبيعة، منصف بتلك الصفة، المتحددة معه اتحادا كاملا، مما يعني استحالة التفكيك بينه وبينها.

أما الطباع أو الصفات المكتسبة، فهي التي ليست من طبع تلك الذات، ولا من صفاتها، وإنما اكتسبتها الذات اكتسابا من غيرها، أو بفعل خارجي نفعله بها.

ولو أخذنا الإنسان مثلا، لرأيناه يجمع هاتين الطبيعتين معا، فهناك أشياء هو مفطور ومطبوع عليها، وفي مقابل هذه الأشياء هناك أشياء أخرى ليست من طبيعته الذاتية، وإنما يكتسبها من أسرته ومجتمعها، والمحيط الخارجي الذي يحيط به، إلى أن يتعود عليها، فتكون أشياء طبيعية ثانوية بالنسبة إليه.

ومن الأشياء التي هي من طبيعة الإنسان الذاتية، تلك الأمور التي فطره الله عليها، كحب الذات، وعشق الجمال، والرغبة في تكوين الأسرة، وإنجاب البنين... فكل هذه الأمور هي مما فطر عليه الإنسان، وهو مطبوع عليها، يحبها ويعشقها ويميل إليها بطبعه وفطرته.

ولكن هناك أمور أخرى، ليست من الطبيعة الإنسانية، وإنما يعود البعض من الناس أنفسهم عليها، فيتعلقون بها تعلقا كبيرا، وشبهها بتعلقهم الفطري بما فطرهم الله عليه، كما هو الحال في من يعود نفسه على التدخين، أو إدمان المخدرات، أو الإكثار من شرب الشاي، أو النوم على نوع خاص من الموسيقى، أو في ما يتعلق بطريقة المأكل والملبس، وما يوجد بينها من اختلاف بين الأمم والشعوب، فذاك المجتمع يأكل بيده، وهذا المجتمع يأكل بالشوكة، وذلك المجتمع يلبس الثوب والشماء، وهذا المجتمع يلبس البنطلون والقميص... أو أي عادة أخرى، هي ليست أصيلة، وإنما عادة مكتسبة من الأسرة، أو الأصدقاء، أو المجتمع، أو غيرهم.

وبناء على ما قدمناه، نصل إلى نتيجة، وهي أن أبعاد الشخصية الإنسانية تنقسم إلى قسمين، هما كما يلي :

الأول : أبعاد خاصة :

تتمثل في سمات الشخصية البدنية والنفسية، بما تحويه من اختلاف كلي أو جزئي عن الشخصيات الأخرى، كالشخصيات الدموية والصفراوية والسوداوية والانطوائية والانبساطية والانفعالية والعاطفية...

ولكل سمة من هذه السمات دورها في تكوين الشخصية، وأثرها في السلوك الإنساني.

الثاني : أبعاد عامة :

تتمثل في السمات المشتركة بين الناس جميعهم، كعشق الجمال، وحب العلم، والميل إلى الأخلاق

قدم الحديث عن الأبعاد الخاصة للشخصية الإنسانية :

الحديث عن الأبعاد الخاصة للشخصية الإنسانية، حديث قديم جدا، بل هو ضارب بجذوره إلى الآماد البعيدة في التاريخ، ويعود إلى عصر ما قبل التاريخ، حيث العصر الإغريقي.

ولعل نظرية أنماط الشخصية، للطبيب الإغريقي (أبقراط) الذي كان في القرن الخامس قبل الميلاد، حول أبعاد الشخصية، إن لم تكن أقدم النظريات، فهي من أقدمها في تناول الأبعاد الشخصية النمطية.

ومن ذلك التاريخ وإلى عصرنا الحاضر، ما زال الحديث عن الشخصية وأبعادها، محل اهتمام الفلاسفة والمفكرين وعلماء النفس، مما يدل على أهمية هذا الموضوع، كما أنه ساهم إلى حد كبير جدا في تطويره عبر التراكم الزمني والمعرفي.

عوامل تكوين الأبعاد الخاصة للشخصية :

وأما عوامل تكوين أبعاد الشخصية الخاصة، فمتنوعة وكثيرة، منها العامل الوراثي، بما له من أثر كبير في صنع أبعاد الشخصية على مستوى الصفات البدنية والنفسية على السواء، كما ورد ذلك في بعض النصوص الدينية، وأكدته البحوث العلمية.

بل أن بعض الصفات الناتجة عن العوامل الوراثية غير قابلة للتغير، ولا يمكن التخلص منها حتى عن طريق العلاج، كما هو الحال - مثلا - في الحمق والجنون.

ومع العامل الوراثي هناك عوامل أخرى كثيرة، لها دورها في صنع أبعاد شخصية الإنسان، كالأسرة

والمحيط، والعوامل الاجتماعية والمعتقدات الدينية، والهيئات التعليمية... إلى غير ذلك من العوامل المؤثرة في صنع الإنسان، وبناء أبعاد شخصيته.

خصائص أبعاد الشخصية الخاصة : أما خصائص أبعاد الشخصية الخاصة، فهي :

1- طارئة وغير أصيلة.

بمعنى أنها ليست من طبع الإنسان، ولا من صفاته الذاتية، وإنما اكتسبها من خلال التربية، أو المجتمع، أو العادات والتقاليد...

2 غير متصفة بالعموم والشمولية.

بمعنى أنه ليس كل الناس يتصفون بها، وإنما هي موجودة عند أناس دون آخرين.

3 الكثير منها يمكن تطويره إن كان بعدا إيجابيا، أو علاجه والتخلص منه، إن كان بعدا سلبيا.

الأبعاد العامة للشخصية الإنسانية :

في مقابل الأبعاد الخاصة للشخصية الإنسانية، التي تميز هذه الشخصية عن تلك، هناك أبعاد عامة ومشاركة بين جميع البشر، وهي تتمثل في أربعة أبعاد، على النحو التالي : الجمال في الفن، الخير في الأخلاق. الحق في العلم. البعد الروحي (الديني) خصائص الأبعاد العامة للشخصية الإنسانية : تمتاز الأبعاد العامة المشتركة بين جميع الناس، على الأبعاد الخاصة، بعدة أمور، منها :

1 هي أبعاد أصيلة وفطرية.

بمعنى أن الناس جميعهم مفطورون عليها، وهي من طبيعتهم الإنسانية.

2 عامة وشاملة.

فهي موجودة عند الناس جميعهم بدون استثناء .

3 غير قابلة للزوال، ولا يمكن القضاء عليها، مهما كانت المحاربة لها .

أثر الأبعاد العامة في تطور الحضارة الإنسانية :

ولهذه الأبعاد المهمة، أثرها الكبير، ودورها الفاعل في تطور الحضارة الإنسانية على جميع الأصعدة والمستويات .

فبعد الجمال في الفن، هو الذي دفع الإنسان إلى الاهتمام بكل أنواع الفن والجمال في الحياة، مما ساهم في رقيه، وتطور نظام حياته في كل النواحي الطبيعية .

فاهتمام الإنسان بشخصيته وهندامه، ومظهره الخارجي، وعنايته بالحدائق والمناظر الطبيعية، واهتمامه بالهندسة المعمارية، وتشجيعه وممارسته لكل الفنون، من الرسم والنحت والخط... كل ذلك وغيره، هو نتاج فطريته على عشق الجمال والكمال، مما ساهم في تطور الحضارة المدنية والعمرانية والفنية... للإنسان، عكس البهائم والحيوانات التي لم يتطور نظام حياتها الطبيعي في أي شيء، كونها فاقدة لهذا البعد المهم جدا .

وأما عن البعد الأخلاقي، فنحن نعلم أن للصفات والأفعال الأخلاقية قيمها الذاتية، التي تمكننا من الحكم عليها بالحسن والقبح، من منطلق عقلي وقيمي أخلاقي، بعيدا عن الدين وأحكامه، وأن الإنسان بفطرته يحب الحسن من القيم الأخلاقية، كما ينفر من قبيحها، بدليل أن كل الناس - بغض النظر عن معتقداتهم الدينية، ومناطقهم الجغرافية، ومستوياتهم العلمية، وتوجهاتهم الفكرية - يحبون الصدق والوفاء والأمانة... كما يكرهون وينفرون من الكذب والخيانة... ويصل حبهم للحسن وكرهيتهم للقبيح من الصفات الأخلاقية، إلى حد أن كل فرد من الناس يدعي أنه متصف بكل صفة أخلاقية حسنة، كما أنه ينزه نفسه عن كل صفة قبيحة، حتى ولو كان يعلم في نفسه أنه متصف بها .

والبعد الأخلاقي في الشخصية الإنسانية، هو الذي أثرى الحضارة الأخلاقية للحياة الإنسانية، كما أنه السبب الرئيس وراء محاولة تحلي الإنسان بالفضيلة، والتخلي من الرذيلة .

وأما عن بعد الحق في العلم، فلا شك أن الإنسان مفطور على حب العلم، ومعرفة الحقائق في الأشياء، وقد

أثبت علم النفس وجود غريزة التعلم لدى الإنسان منذ صغره ونعومة أطفاره، بل وهو في مهده، وما تطلع الأطفال في الأشياء، ومص أصابعهم، وتفكيكهم للعب والدمد...إلا محاولات استكشافية للأشياء، ومحاولة جادة في التعرف على حقائقها، كما أن ما يرشقون به آباءهم وأمهاتهم ومن يحيطون بهم، من أسئلة متنوعة عن الأشياء ومكوناتها وأسبابها...كلها تدل على فطرية الإنسان على هذا البعد في حب العلم وعشقه.

وهذا البعد العظيم، هو الذي أثرى الحضارة العلمية للإنسان، ومكنه من غزو الفضاء، والغوص في أعماق البحار، والنزول إلى تخوم الأرض، واكتشاف كل ما اكتشفه، وما سيكتشفه في كل الحقول والبياديين العلمية.

وأما في البعد الديني، والمعبر عن بالبعد الرابع للروح الإنسانية، فلعل أول من أشار إليه (بمعنى أنه سماه بهذه التسمية) هو الفيلسوف الألماني (رودلف آت) عام 1920م.

وفي شهر أكتوبر من عام 1958 ميلادية، نشرت مجلة فرنسية مقالا بعنوان (البعد الرابع للروح الإنسانية) أكدت فيه وجود البعد الديني، إلى جانب تلك الأبعاد الثلاثة في الشخصية الإنسانية، وهي بعد الجمال في الفن، والخير في الأخلاق، والحق في العلم.

ووجود البعد الديني في الشخصية الإنسانية، مما لا مجال للتشكيك فيه، فضلا عن محاولة إنكاره، وذلك لوجود الشواهد الكثيرة الوفيرة المتنوعة على صحة وأصالة القول بوجوده، وتغلغله في أعماق النفس الإنسانية، والتي من بينها النزوع الفطري لدى الإنسان بالخضوع أمام قوة عليا، كما أن الشواهد التاريخية، وما يؤكد الباحثون في الحضارات الإنسانية، كلها تؤكد على أن الشعوب جميعها وبدون استثناء، وفي كل مراحل التاريخ، مصبوغة بالصبغة الدينية، وأن الحفريات دلت على وجود المعابد من كنائس وأديرة ومساجد... في كل العصور، على مر الدهور، وتعاقب الأزمنة، وتوالي الأجيال، مما يثبت عدم خلو أي حقبة زمنية من الدين والإيمان.

نعم، قد تختلف الطريقة المتبعة، والسلوك العملي في إشباع هذا البعد، كما هو الحال في سائر الأبعاد الأخرى، كما أنه من الممكن أن تقوى أو تضعف هذه الأبعاد الفطرية العامة لدى الإنسان، وذلك وفق التوازن وعدمه في تعامله معها، وكذا وفق ما تواجهه هذه الأبعاد من حث عليها، ودعوة إليها، أو محاربة مضادة لها، مما يساهم في ظهورها بقوة تارة، وخفوتها تارة أخرى، ولكنها لا تموت ولا يمكن القضاء عليها أبدا.

